الزعم أن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – أسلم رغبة في الزواج من رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم (*)

مضمون الشبهة:

يزعم بعض الطاعنين أن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – دخل الإسلام؛ بسبب حبه لرقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم، ورغبته في الزواج منها، كما يزعمون أن عثمان لما بلغه خطبة رقية لغيره حزن وأخبر أبا بكر رضي الله عنه، فتصادف مرور النبي صلى الله عليه وسلم، فأسر أبو بكر – رضي الله عنه – بكلمات للنبي صلى الله عليه وسلم؛ وتزوج عثمان – رضي الله عنه – برقية بعد أن أسلم. هادفين من وراء ذلك الطعن في التاريخ الإسلامي وسيرة عثمان رضي الله عنه.

وجوه إبطال الشبهة:

١) ليس غريبا الطعن في عثمان رضي الله عنه، فقد درج المغالطون على الطعن في جميع الصحابة.

٢) قصة إسلام عثمان – رضي الله عنه – كما روتها كتب السير تناقض هذا الادعاء وتبطله؛ لأن إسلامه كان أثناء خطبة رقية لعتبة بن أبي لهب.

٣) موقف عمه الحكم بن أبي العاص من إسلامه وتعذيبه له لا يساوي رغبته في الزواج من رقية؛ بل يؤكد رغبته الدخول في الإسلام عن اقتناع وإيمان.

٤) ما تميز به عثمان – رضي الله عنه – من سمات شخصية وخلقية ينفي هذا الزعم.

التفصيل:

أولا. درج المغالطون على الطعن في جميع الصحابة؛ فليس غريبا أن يطعنوا في عثمان:

إذا لم تستح فاصنع ما تشاء، أو قل ما تشاء، إذ يستطيع كل واحد أن يقلب الحقائق أباطيل والأباطيل حقائق في مخيلته أو على هواه طالما أنه لم يلزم نفسه بتقديم الدليل الدامغ على ما يقول، وليس كل هذا مهما، المهم هو: كيف يكون وقع

كلامه وتحريفه على الناس؟! لا شك أن للناس عقولا يميزون بها الغث من الثمين ويفرزون الثابت من المتهافت.

ولقد درج كثير من المستشرقين المغالطين ومن تبنى فكرهم المتهاوى على النظر لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم – وهم بشر كالبشر؛ لكنهم ربوا تربية خاصة على يد صاحبهم ومعلمهم وعلى منهج سماوى صحيح، فصاروا ثقات عدولا وفي القمة من البشر – كنظرتهم لشخوص التاريخ العاديين في العصور المختلفة، ولهذا لم ينزلوهم منازلهم ولم يقدروهم قدرهم الذي نالوه بعفتهم وتقواهم وزهدهم وجهادهم، مما ندر تكراره في بنى البشر.

ولهذا انتحلوا لكثيرين منهم أسبابا لإسلامهم وتضحياتهم غير اقتناعهم بهذه العقيدة الناصعة؛ لأنهم لم يتصوروها وحدها – حسب مقاييسهم – دافعا للإقدام والتضحية، ومن هذا زعمهم – بغير دليل – أن سيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قد أسلم حبا لرقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيا. قصة إسلام عثمان – رضي الله عنه – تناقض هذا الادعاء:

فقصة إسلام عثمان – رضي الله عنه – معروفة مشهورة رواها ابن إسحاق وغيره من المؤرخين وهي: أن الصديق – رضي الله عنه – عرض عليه الإسلام فمال قلبه له، فأخذه إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي قال له: يا عثمان أجب الله إلى جنته فإنى رسول الله إليك وإلى خلقه، قال عثمان رضي الله عنه: فوالله ما تمالكت حين سمعت قوله أن أسلمت وشهدت، وبإسلامه تحول من حياة الغنى والجاه والرفاهية إلى الشدة والجد، والتعب والتضحية، وهي قصة مثبتة تؤكد أنه أسلم بسبب الاقتناع بالإسلام[1].

أما عن زواجه – رضي الله عنه – من السيدة رقية – رضى الله عنها – ابنة النبي – صلى الله عليه وسلم – فهذا لا يدل لا من قريب ولا من بعيد على أن إسلامه كان رغبة في زواجه من رقية، فقد أسلم عثمان – رضي الله عنه – ورقية زوجة لعتبة بن أبي طالب، وقد كان أبو لهب وزوجه أم جميل من أشد قريش قسوة على النبي – صلى الله عليه وسلم – وأعنفهم إيذاء له، وتنكيلا به، فأنزل الله فيه وفي امرأته سورة

المسد: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب (١) ما أغنى عنه ماله وما كسب (٢) سيصلى نارا ذات لهب (٣) وامرأته حمالة الحطب (٤) في جيدها حبل من مسد (٥)﴾ (المسد).

فازداد أبو لهب ضغينة على الرسول – صلى الله عليه وسلم – واشتد حقده وحقد زوجته أم جميل عليه، وعلى المسلمين معه فأمر ابنهما عتبة بأن يطلق زوجته رقية فطلقها نكاية بأبيها، وما كاد عثمان – رضي الله عنه – يسمع خبر طلاق رقية حتى استطار فرحا – وبادر فخطبها – فزوجها الرسول الكريم منه[2]. إذن تزوج عثمان من رقية بعد ما أسلم ووقر الإيمان في قلبه، وبعد ما طلقها عتبة بن أبى لهب، فهل اطلع عثمان على الغيب وعلم أن عتبة سوف يطلقها، أم أن الفرصة واتته بعدما أسلم ووقر الإيمان في قلبه؟!

ثالثا. موقف عمه الحكم بن العاص من إسلامه وتعذيبه له، لا يساوى رغبته في الزواج من رقية:

إن عثمان – رضي الله عنه – تحمل التعذيب من قبل عمه الحكم بن أبى العاص الذي أخذه فأوثقه، وقال: ترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث، والله لا أدعك أبدا حتى تدع ما أنت عليه، فرد عثمان – رضي الله عنه – بصلابة: والله لا أدعه أبدا ولا أفارقه، وكان من أثر ذلك أن هاجر إلى الحبشة الهجرتين ثم إلى المدينة، وشهد المشاهد – رضي الله عنه – ويمكن التقرير هنا أن إسلام عثمان لو كان غرضه الزواج من رقية دون وازع إيمانى من قلب صادق، لتراجع اتقاء لشر عمه وتنكيله به[3]، أيجوز إذن أن يختزل كل هذا؛ بل يغفل ليرد سبب إسلامه إلى علة واهية مثلما ذكر؟!

رابعا. ما تميز به عثمان – رضي الله عنه – من سمات خلقية وشخصية ينفى هذا الزعم:

إن عثمان – رضي الله عنه – صنف من أصناف الرجال الأطهار يندر وجود في كل العصور والأزمان... رجل تستحى منه ملائكة الرحمة، فعن عائشة – رضى الله عنها – أنها قالت:

«كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مضطجعا في بيتي كاشفا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسوى ثيابه فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[4]. يعني أكثر حياء. وعن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن عثمان رجل حيي»[5] [6].

ثم إن حياة ذي النورين: عثمان بن عفان – رضي الله عنه – صفحة مشرقة في تاريخ الأمة، حسبه شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وأصدقها حياء عثمان رضي الله عنه"، وعذرا إليه من هذه الافتراءات – إن تاريخ ذي النورين – رضي الله عنه – يبرهن على عظمته ويثبت أنه كان عظيما بإيمانه وخلقه وبآثاره، وكانت عظمته، مستمدة من فهمه وتطبيقه للإسلام، وصلته العظيمة بالله واتباعه لهدي الرسول الكريم، إن سيدنا عثمان – رضي الله عنه – من الأئمة الذين نتأسى بهم – أقوالا وأفعالا – وقد أسلم لله رب العالمين طوعا بلا هدف مبيت كما يزعم الزاعمون، وإنما عن فهم صحيح لهذا الدين، وتضحياته في سبيل الدعوة الإسلامية تدل على مدى يقينه وإيمانه بالله – عز وجل – بما ينفي زعم الزاعمين.

الخلاصة:

- قلب الحقائق إلى أباطيل أو العكس أو تجاوزها أمر سهل ما لم يلزم الفاعل نفسه بتقديم الدليل والبرهان على دعواه، وقد درج كثير من الباحثين الغربيين على النظر إلى صحابة النبي – صلى الله عليه وسلم – نظرتهم إلى شخصيات التاريخ العادية، وهم بشر كالبشر، لكنهم ربوا تربية خاصة. وقد غالطوا فاختزلوا إسلام عثمان – رضي الله عنه – وقصته وتضحياته المعروفة المتواترة، في سبب واه غريب، وهو حبه لرقية، وهذا أليق بطلاب الدنيا.

• قصة إسلام عثمان – رضي الله عنه – معروفة في كتب السير ولا علاقة لها برقية بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد تعرض عثمان لتنكيل عمه الحكم بن أبي العاص بسبب إسلامه.

• لم تذكر كتب السير شيئا عن رقية بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عند إسلام عثمان رضي الله عنه؛ فقد كانت زوجة لعتبة بن أبي لهب، ثم طلقها فتزوجها عثمان بعد ما أسلم ووقر الإيمان في قلبه.

• إن ما يتميز به عثمان – رضي الله عنه – من ميزات خلقية وشخصية بين أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنفسهم ينفي أن يكون إسلامه طمعا في زيجة، وإن كانت من بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(*) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، محمد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

[1]. نظرات في تاريخ الخلفاء الراشدين، حلمي صابر، طبعة خاصة، ٢٠٠١م، ص٢١٣.

[2]. أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، محمود المصري، دار التقوى، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ج١، ص١٦١، ١٦٢ بتصرف يسير.

[3]. نظرات في تاريخ الخلفاء الراشدين، حلمي صابر، طبعة خاصة، ٢٠٠١م، ص٢١٤.

[4]. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٦٣٦٢).

[5]. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٦٣٦٣).

[6]. أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، محمود المصري، دار التقوى، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٦٠: ١٦٨ باختصار.